(٨٤)

"كرسى العمودية"

استلقى عمدة القرية على ظهره آخذًا ذلك القسط من الراحة الذى اعتاد عليه مع كل ظهيرة، بعد يومٍ طويلٍ من العمل الشاق وسط أهل قريته ورعيته من الفلاحين والمزارعين. ومع محاولته لإراحة جسده من التعب، كان عقله لا يهنأ بأية لحظات من عدم التفكير فى مسئولياته، التى وجد نفسه مجبرًا على تحملها منذ اليوم الأول لارتدائه عباءة العمودية التى توراثتها عائلته جيلاً بعد جيل. وفى هذا اليوم لم يستطع الفِرار من عدم التفكير فيما أخبره به المحافظ من أن غضب الفلاحين قد يودى به إلى النزول من على كرسى العمودية تاركًا إياه طواعية لشخصٍ آخر سيتم انتخابه ليكون هو العمدة الجديد للقرية.

لم يستطع العمدة القديم – الذى أوشك أن يحصل على لقب "عمدة سابق"– تصديق أنه سيكون آخر عمدة من أسرته لهذه القرية التى لم تعرف أية عمدة لها من أسرة أخرى. واستمر عدم تصديقه لهذا التغيير المفاجئ حتى بعد أن بدأت معركة الانتخابات، التى كان هو وكل أفراد أسرته خارج دائرة المنافسة فيها.

وكان يوم إعلان العمدة الجديد للقرية هو الصدمة الكبرى للعمدة "السابق"، الذى وجد نفسه فى يومٍ وليلة، مثله مثل أى فلاح من فلاحيها بلا هيبة أو نفوذ، أو أمر ملزم التنفيذ، أو نهى لا يمكن لأحد معارضته. وصاحَب ذلك التغيير غير المتوقَع من عمدتها "السابق" تغييرًا أكبر بدأ منذ وقتٍ طويل دون أن يلحظه العمدة القديم أو يُلقى له بالاً، ألا وهو تغيير المفاهيم والأفكار فى أذهان الفلاحين وعقولهم، والذى دفعهم لاستبدال الشجاعة مكان الخوف، والإحجام بالإقدام، والرهبة من الانطلاق للفضاء الفسيح بالتحرر من أسر المألوف والمعتاد.

لقد حدث التغيير على غير هوىً ممن كان كبيرًا، عندما أراد كل صغير بمفرده مع مرور الأيام وتوالى الأحداث أن يكبر مفضلاً الاعتماد على نفسه.